

الفصل الثاني

شعر الفخر بالقبيلة

- قصيدة الشاعر «أحمد سالم بن السالك» في الفخر بالقبيلة.

obeikandi.com

شعر الفخر بالقبيلة

شهدت منطقة جنوب الصحراء (السودان الغربي) حروباً قبليةً وطائفيةً عديدة، إذ كانت كل قبيلة تنسب نفسها إلى جهة بعينها، حتى نتجت عن تلك الفوارق حروبٌ بين ما يسمى أنصار «الأنصار» و «ابن أمية».

وقبيلة الأنصار - التي تضمها الآن جمهورية «مالي» - ترجع في نسبها إلى الأنصار الذين ناصروا رسول الله ﷺ في مواجهة الشرك.. وهم لذلك يفتخرون بهذا الانتساب ويقولون الشعر تمجيداً لأنفسهم؛ حيث يقول شاعرهم:

وأنتم من «أُمِّيَّة» قد ورثتمْ ونحنُ من «مُعَاذٍ» وارثونا

يقولون: إنهم من سلالة «معاذ بن جبل» رضي الله عنه، وإن «كنانة» من بني أمية.. وأمام هذه البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ فإننا نؤمن بأن الله واحدٌ لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.. وألاً فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.. فكلكم لآدم؛ وآدم من تراب!

فالتكريم يكون بالإسلام.. ذلك الدين القيم الذي لمجيئه ترك أهالي السودان الغربي الاعتقادَ في ثعابين ووحوش ونار وشمس وقمر وأشجار «كومبي صالح»، واعتنقوا الدين الإسلامي الخفيف الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور*.

لقد أزال الإسلام الفوارق الطبقية منذ وصل «عقبة بن نافع الفهري» بجيشه الفاتح إلى ضفاف نهر «النيجر»؛ وبالتحديد في منطقة محل السوق «كيدال»..

* جلب الدعوة والتجار الإسلام إلى هذه المناطق جنوبي الصحراء؛ في عهد الخليفة الراشد «عثمان بن عفان» رضي الله عنه.

فاختلطت دماء الفاتحين بدماء سكان الصحراء، وحدث تزواج بينهم أنتج عنصراً عربياً جديداً تمثل في قبائل «الفلان».

وقد جاءت تسمية هذه القبائل نسبةً إلى ألفي جندي خَلَفَهُم «عقبة» على ضفاف نهر «النيجر». . فالكلمة (الفلان) تحريف عن «ألفان 2000»؛ وليس كما يدعي اليهود أنهم بقايا «الفلاشه»!

وقد أنجبت الصحراء شعراء تغنوا بأمجاد بلادهم وافتخروا ببطولاتهم. ومن بين هؤلاء الشعراء الذين اختطوا في شعرهم لون الفخر؛ ضيفنا الشاعر «أحمد سالم ابن السالك» من بني الحاج. وشاعرنا من أبناء القرن الثامن عشر الميلادي، ويقطن بعض أفراد قبيلته في صحراء «موريتانيا» في «النعمة» و «ولاته»، والبعض الآخر يسكن في مدينة «كندام» التي تقع إلى الغرب من مدينة «تنبكت» وتبعد عنها بحوالي خمسين كيلو متراً. . في حين تبعد عن قرية «ليره» - أو المنطقة الحدودية بين «مالي» و «موريتانيا» - بحوالي أربعين كيلو متراً.

وشاعرنا اشتغل مُدرِّساً للقرآن الكريم واللغة العربية. . فكان يُدرِّس طُلابَه علم النحو في قلب جامعة الصحراء، وهي عبارة عن «صيحة» بنيت بأوتاد شجر الطَّلح الثابتة، وضمَّت أدوات الشاي - من الطبل والبراد والمِجْمار والكئوس التي تفوح برائحته الجذابة - حين كان المدرس يُدرِّس المبتدأ والخبر إلخ!

وفيما يلي بعض الأبيات التي اخترناها من قصيدة له؛ بلغ مجمل أبياتها مائتين وتسعة أبيات:

- أم هل صرفتُ إلى السلامة همّتي
 أم هل عدلتُ إلى الغنائم في الوغى
 أم هل عففتُ وكان ذاك سيجيتي
 وعصابة تغشى الخنا عَنَفْتُهَا
 وكتائب شعث عوابسَ بَسَلِ
 ولكم وَصَوَدَتِ الخيل عن أهوائها
 وطعنت فارسَها المدجج طعنةً
 وتركت آخر بعده متجنّداً
 وفتحت ثالثه المنازل ضربةً
 والحرب تعلم والمشاهد أنني
 ولكم غدوتُ أمام قومي غازياً
 ولقد نثرتُ كنانتي وبلوتُها
- أم سرتُ عن شمس الوغى إظلالها⁽¹⁾
 عز وهجها أم حرّتُ عن أهوالها⁽²⁾
 عند النهاب حرامها وحلالها
 وزجرْتُها عن غيها وضلالها
 ألْبَسْتُها بكتائب أمثالها⁽³⁾
 ودماؤهن تفور من أكفّالها⁽⁴⁾
 صاحت حلائله لوسّع مجالها⁽⁵⁾
 تمكو فرائضه لهتك وصالها⁽⁶⁾
 أوصت حليلته بشدّ خلالها⁽⁷⁾
 مُرْدِي فوارسها قريعُ نزالها⁽⁸⁾
 نحو العدا متهيئاً لقتالها⁽⁹⁾
 ورميتهمُ منها بصلبِ نبالها⁽¹⁰⁾

- (1) إظلالها: مجرورة بـ «إلى» المحذوفة.
 (2) الوهج: لهيب النار. وحرّت: بمعنى تحولت عنها إلى مكان آخر.
 (3) الكتائب: جمع كتيبة؛ وهي نوع من التنظيم العسكري. وشعث: جمع أشعث، أي المغبر الرأس الذي يظهر عليه عناء السفر. والعوابس: جمع عابس؛ وهو القوط. . يقولون إنسان عبوس وقطوب الجين.
 (4) تفور من أكفّالها: تجري في أعجازها، وهو تعبير عن شدة المعركة.
 (5) يفتخر شاعرنا بأنه سدد ضربة قاضية إلى فارسهم الذي يحمل أسلحة متعددة كالرمح والسيف والخنجر؛ حتى استطاع بشجاعته أن يقضي عليه بضربة واحدة جعلت زوجته تندبه وتبكيه لتحمله تلك الطعنة التي لا علاج لها إلا الموت المحقق.
 (6) متجنّداً: ساقطاً صريعاً من الضربة. وتمكو: تَصَفَّرَ. والفريضة: كُرِّيَّةٌ بين الكتف والضلوع.
 (7) الخلال: ما تستخدمه نساء الصحراء ليُخَلَّ به الثوب. وهو يصنع من العيدان أو الحديد أو الذهب، ويعتبر جزءاً من الأدوات التي تتزين بها المرأة الصحراوية؛ بل تشترطه العروس عند زواجها. يقول: ضربته ضربة أوصت زوجته بشد الخلال من شدة هول الضربة؛ حتى إنها أوصت من بجانبها أن يشد رءاءها بالخلال لأنها قد تفقد أعصابها حزناً على زوجها.
 (8) يفتخر الشاعر ببطلته؛ حتى أن الوغى تعرفه جيداً بالإقدام ومقارعة الأبطال ومنازلتهم والانتصار عليهم.
 (9) أمام قومي؛ لقد أصبحت القائد الذي يتقدم صفوف الجيش لغزو الأعداء بكامل استعدادي.
 (10) نثرت كنانتي: الكنانة ما يجعل فيه السهام، وهو الجعب. . يقول: استخرجت ما فيها من السهام. وبلوتها: اختبرتها. والنبال: جمع نبل، وهو السهم.

- سمر السهام مراشاة أغراضها لبب الأعادي عرضةً لنصالها (1)
شعث على خوص حنايا ضمّر مثل القسي قلاصها وجمالها (2)
يطوي المهامه نصّها وذمیلها ودؤوب مرقلها على إرقالها (3)
تفرى بهم وعر الجبال كأنها وسط الجبال تجوب وعث رمالها (4)
ولدي الرمال كأنها بصحاصح ولدى الصحاصح كالنعام ورالها (5)
بُسْلُ مساعر للحروب عوابس صبرٌ على محن الوغى ومحالها (6)

(1) السمر : التي تضرب حمرتها إلى السواد. مراشة : جعل لها ريشًا، فالسهم الفتاك الذي تكون ضربته قاتلة هوما يكون مقدمه على شكل إشارة زائدة؛ فعندما يدخل في جسم الإنسان يكون من الصعب إخرجه. والأغراض : بمعنى الأصداف. واللبب : جمع لبّ؛ وهي النحر. والنصال : جمع نصل.

(2) شعث : جمع أشعث؛ وهو الذي يظهر عليه عناء السفر. والخوص : الغائرة الأعين من طول السفر. والحنايا : جمع حنية؛ وهي التي انحنت من قسوة السفر. والضمّر : جمع ضمائر؛ وهو البعير الذي قطع مسافات طوالاً؛ فيقال له ضامر. . ويقول رب العزة : ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ (سورة الحج / 27). والقلاص : جمع قلوص وهو الفتى من الإبل. يقول : تلك السهام الصلب التي رميت بها العدو؛ وهم رجال شعث على خوص قد أزهلها السفر، وفي هذا البيت افتخار بالرجال الأشداء الذين يتحملون قطع المسافات الطوال دون كلل ولا ملل في سبيل تحقيق أهدافهم المرجوة منهم.

(3) المهامه : المفاوز. والنص والذميل : نوعان من سير الإبل. والإرقال : الإسراع. والدؤوب : الجد والمثابرة. وهنا الشاعر وكأنه يقول : لقد اخترنا لهذا اللقاء نوعاً من الإبل تمتاز عن غيرها في سرعتها وربما قصد بذلك ما يعرف بالمهري، وهو صنف من أصناف الإبل، يمتاز بالسرعة الفائقة. والمهري أنواع؛ منه من يقطع أكثر من ذلك بكثير. وقصة تفاوت قطع المسافات كنت قد سمعتها عن والدي - رحمه الله - منذ كنت طفلاً، والوالدي من عشاق الفروسية، فكان يقص لي عن الفروسية وصفات الفارس والخيل وأنواعها وأماراتها إلخ. ومن بين قصصه التي مازالت عالقة في مخيلتي إلى اليوم؛ أنواع من المهارة. . وهي فصيلة من فصائل الإبل. وتفاوت سرعة المهري من واحد إلى آخر، فالمهري الذي يولد ويبقى مأكثاً على الأرض يومان أفضل من الذي يمكث في الأرض يوماً، ومن يمكث أربعة أيام أفضل من الذي يمكث ثلاثة. وهكذا. . فكل من بقي فترة على الأرض بعد ولادته أفضل من غيره الذي يقوم في حينه. وأكثر من يعرف هذه المسألة سكان الصحراء؛ وخاصة التوارق.

(4,5) تفري : تشق. والوعر : المكان الصلب؛ أي الصعب اختراقه. والوعث : ضده. والصحاصح : جمع صحصح، والصحصح المستوي من الأرض. وتجوب : تقطع. والرال : ولد النعام. يقول : تشق بهم وعر الجبال فكانها حينئذ تجري في الرمال. وكأنه يقول إن خيلهم قادرة على شق الجبال الصعبة والرمال العاتية، وشبهها بفراخ النعام في سرعة عدوها، فشاعر الصحراء يلتقط كلماته من الطبيعة المحيطة به.

(6) مساعر للحروب : جمع مسعر؛ وهو الموقد. كان الحرب توقد.

- ثأروا لأخذ الثأر حين ندبتهم
يمشون في سدف الدياجي في ندى
لايشنون عن الأعادي رهبةً
جاسوا خلال حلالهم حتى إذا
شنوا عليهم غارة شعواء ما
تركوا ديار كنانة منهوجة
وحماتهم وكماتهم غادرتهم
عاثت بهم غلب الضباع وجررت
ظلت تهادى الخامعات لحومهم
مانت عن تأري أميمة في العدا
فسلي كنانة هل ثأرت بفتيتي
أم هل أبحت حماهم يوم الوغى
يوما تصيب بالعبير دماؤهم
- مثل الأسود عذابها ومحالها(1)
شيم وصرّ بـارد لنضالها(2)
حتى تناخ ركبهم بحلالها(3)
لاحت ذكاء على ربى أحوالها(4)
تركوا بها هبعاً على بهالها(5)
لفرارها عن آلهة في آلهة(6)
جزر السباع جلالها وضئالها(7)
أشلاءهم لوجارها وجالها(8)
تمشي جعاربها إلى خزعالها(9)
حتى شفيت النفس من بلبالها(10)
يوم الوغى منها بخير رجالها
وعركتهم عرك الرحا بئفالها(11)
سيلان زق قطعت بحبالها(12)

- (1) ثأروا : نهضوا. وندبتهم : استنجدتهم مثل الضرغام. وعذابها ومحالها: بدل اشتغال من الأسود. والمحال: الكيد والمكر والخديعة والجدال والقدرة والقوة والشدّة.
- (2) السدف : الظلمة. والدياجي: جمع دجية؛ وهي الظلمة. والبيت هنا دليل على الشجاعة والإقدام. والنضال: الترامي بالنبال وغيرها من أدوات الحرب في تلك الفترة.
- (3) لا يشنون: لا ينصرفون حتى ينيخوا ركبهم بحلال العدو. والحلال: جمع حلة؛ وهو الحية.
- (4) جاسوا : وطشوا بشدة وذكاء.
- (5) شنوا عليهم الغارة : صوبوا عليهم من كل وجه. وشعواء: قوية.
- (6) منهوجة: أي موطنّة بالأقدام، لفرارها: يقصد كنانة. عن آلهة: عن أملها. في آلهة: في سرايها.
- (7) وتركتم حماتهم وكماتهم جزر السباع. جلالها: أي كبارها. وضئالها: صغارها.
- (8) عاثت : أكثرت من الفساد. والأشلاء : الأعضاء؛ جمع شلو. والوجاز: سرب الضبع. والجال جبال: وهي الضباع. وكأنه يقول: تركت قبيلته أشلاء أعدائها تنهشها أسراب الضباع في الصحراء.
- (9) تهادى : تنهادى. والخامعات : الضباع. والخزعال بالفتح : الضبع.
- (10) يقول: ما نامت له عين حتى أخذ بثأره وشفى غليل صدره من أعدائه. والبلبال : البرحاء والهم في الصدر.
- (11) عركتهم : طحتهم. والرحا : الطاحونة، والثفال : ما يفرش لها، والباء بمعنى مع، وهو يصور لنا صورة أعدائه؛ فاستمد من الأدوات التي تستعمل يومياً الصورة البلاغية ليقرب لنا الصورة أكثر.
- (12) العبير : أخلاط من الطين أو الزعفران. والزق بالكسر: القربة. وهنا ينقل إلينا ما كانوا عليه أعداءهم من هزيمة؛ حتى إن دماءهم تسيل بقوة وكأنها قرب مملوءة بالماء وتقطعه حبالها فاندفع منها الماء بغزارة وهو تشبيه بليغ مع رصانة في الكلمات.

- ظلت تصيب من نجيع سراتهم
 كم من كمى قد تركت مجندلاً
 وخريدة حسناء بيضاء غادة
 تبكي وتندب بعلمها وحميمها
 وقديمة سلب الجلال جمالها
 تبكي وتسال عن أخيها وابنها
 ترنو إليّ وتشتكي فيعمّها
 وكريمة تأبى السؤال لفضلها
 ويصونها عند السؤال لفضلها
 وجبوتها فضلاً بفاخر تالدي
 ثم انثيت وما احتملت مذمة
 وأنا الذي شهدت كناتة بأسه
 كفي وفكي صارمان كلاهما
 مؤثوا بغيطكم كناتة إنني
 فليكين مع البواكي حاسر
 أو ينفسن كنفسه ونسائهم
- (1) غيطان دور من حمى أقيالها
 (2) بخلال عرصتها وبين تلالها
 (3) أبرزتها من خدرها وحجالها
 (4) وتنوح معولة على أشبالها
 (5) غادرتها تحنو على أطفالها
 (6) حذباً وتسال عن سلالة خالها
 (7) رفدي قبيل تمامها لسؤالها
 ومصابها تشكو إليّ بحالها
 فمنحتها كرماً كرائم مالها
 ونشرت ذخر حقائبي لعيالها
 (8) وشفيت صادي غلتي بعلالها
 وأنا المعد لغيظها ونكالها
 أعدتته لجلادها وجدالها
 أنا ذاكم مردي العدا بنبالها
 (10) بكأوهن ويجلسن بخلالها
 إذ لم ينفسن من عظيم وبالها

- (1) النجيع : الدم. والسراة : السادة؛ جمع سرى، والغيطان : جمع غائط؛ وهو المستوي من الأرض. والأقيال : جمع قيل؛ وهو الملك دون الملك أو الملك الأعظم.
 (2) الكمى : الشجاع المسلح بالسلاح. ومجندلاً : صريعاً. والتلال : جمع تل؛ وهو المكان المرتفع.
 (3) يقول : وربّ خريدة حسناء سبيتها وأخرجتها من خدرها وجمالها.
 (4) تندب : تبكي وتنوح على بعلمها، وحميمها : أي قريبها. معولة : رافعة صوتها بالعويل والنواح. والأشبال : بمعنى أولادها.
 (5) القديمة : المرأة المسنة التي خلع عليها الزمن الجمال والحسن التي كانت عليه في صباها. غادرتها : بمعنى تركتها تحنو وتعطف على عيالها.
 (6) حذباً : أي شفقة. وتسال عن أبناء خالها. والحذباء : ما يحمل عليه الجثمان.
 (7) يقول : ترنو إليّ وتشتكي حالها فيعمها عطائي قبل أن تكمل سؤالها.
 (8) جبوتها : بمعنى أعطيتها. والتلبد : التالف؛ التاريخ التليد : المنتهي منذ زمن بعيد.
 (9) انثيت : انصرفت. والغلة : العطش. والعالل : جمع علل؛ وهو الشرب بعد النهل.
 (10) مردي للأعداء. والنبال : الهلاك.

شيء ولا فتياتهم ببلالها
بقريضه إلا سماجة قالها

لم يغن عن فتياتهم في حربهم
وليزعن عنه القريض فلم ينل

وقال أيضاً:

- (1) الكذب داج ونور الحق قد ظهرا
- (2) والصدق أحسن ما فاهت به الشعرا
- (3) من تحتها ضوء صبح الحق قد ظهرا
- (4) يهجو الكذوب ويمحو الحق ما سطر
- (5) إلا الذي من خصال المجد قد ستر
- (6) عيرت من فر منه العار واستترا

- يا هاجيا هاذيا بالكذب مفتخرا
- ورونق الشعر كذب القول يسلبه
- والفخر بالكذب لا يجدي وظلمته
- أتعبت نفسك لاتنطق بما كذب
- يهجو الكذوب ولاتبدي مقالته
- ركبت عرياً إلى العوراء عيرك إذ

وقال شاعرنا في قصيدة أخرى :

- (1) الهاجي : المهاجي . والهاذي : من الهذيان؛ وهو الذي يكثر من الكلام بدون أفعال . . فالكثير الكلام يقول الحكماء إنه لايشكل خطورة؛ أما الذي يشتغل في صمت فهو الذي يحسب له ألف حساب . وعندنا مثل في ليبيا على من يتكلم بدون فائدة فيقولون: كثير نياح الكلب على روحه (نفسه). والداج : المظلم .
- (2) الرونق : الحسن، ويقصد بذلك أن الكذب يسلب جمال الشعر وحسنه . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شاعر الإسلام زهير بن أبي سلمى : «إنه أشعر الناس لأنه لايمدح أحداً إلا بما فيه» .
- (3) لايجدى : ليس له أي فائدة، لأن ما بني على باطل فهو باطل .
- (4) بما كذب : أي بما هو كذب، فكذب خير لمبتدأ محذوف .
- (5) يبين هنا أن هجاء الشاعر الذي عرف بقول الكذب لاقية لكلامه لأنه لا يصدق الناس . ويشير هنا إلى قول أبي تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

- (6) ركبت عرياً : أي بلا سلاح . والعير بالفتح : الحمار . والعوراء : كلمة لاتقال، فهي تنم عن القبح . وشاعرنا رابع الشعراء الثلاثة الذين يحكي لنا أبو نصر المزرياني أن أحدهم شلشل، والثاني سلسل، والثالث قلقل . . فالذي شلشل هو الأعشى إذ يقول: فقد غدوت إلى الخانوت يتبعني شاد مثل شلول شلشل . والثاني مسلم بن الوليد إذ يقول: سلت وشلت ثم تسل سليلها: فأتى سلسل سليلها مسلولاً . والثالث المتنبي إذ يقول:

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشاه قلقل عيسى طهن قلقل

اخساً فقولك لا يصغى له أحدٌ
سحقاً لقوم جرى يوماً لشاعرهم
يسدى القريض وما يجدى القريض لمن
فالناسُ أجمع عناً استحسنوا الخبراً⁽¹⁾
ما للقوانين في سيف الحصان جرى⁽²⁾
جنوده في البرى أضحوا شذراً مذراً⁽³⁾

تهدى القريض وما تهدى به حسنا
هـلا مددتهم بجحفل لجب
جهلت قومك فاستسمت ذو إرم
إن كنت تحسبهم خيلاً فصل بهم
اربأ بنفسك لا يغرك قولهم
ما أنت أول مغرور بكذبهم
دعوا بني ناصر لنصرهم فأتوا
دعوا الحرب وحين الحرب بال حما
عدوا الفرار فخاراً والنجا هربا
لو كان ينجي الفرار من قضا لغدا
أو كان ينجي الفرار هارباً لنجا
حب السلامة قد يرنى إلى عطب
حب السلامة لو ينجي لكان نجا

إذ لو رأيت لما تهدى به نفرا
يضحى به جندك المغلوب منتصراً⁽⁴⁾
خلت السراب شراباً والنوى ثمراً⁽⁵⁾
إلى حمانا تجدهم إذا حمرا
وإن تقل باردا أدل يديك ترى⁽⁶⁾
غروا به ناصراً فخلفوه ورا⁽⁷⁾
مبادرين وعنهم أزمعوا سفرا
رها الدماء تولوا عنهم زمرا
وما الفرار بلاق عنهم القدر
من مات من عطش منهم كمن صدرا
من فر عنه قومه منهم ومن نفرا
والعار من كان بالأيام مستترا
من بالبسيقي بالحفير قد حصراً⁽⁸⁾

- (1) اخساً: في الأصل زجر للكلب. ولا يصغى: لا يستمع.
- (2) القوانين: قبيلة من الحسانين كانت لها صولات وجولات في ميادين الوغى.
- (3) البرى: الأرض. وشذراً مذراً: متفرقين في مختلف الاتجاهات.
- (4) الجحفل: الجيش الكثير العدد. واللجب: كثير الأصوات.
- (5) استسمت ذو إرم: مثل اعتقدت المتورم سمياً. والسراب: ما يتراءى في القيعان عند اشتداد الحر ويحسبه الظمآن ماء. والنوى: عجم التمر.
- (6) وإن تقل بارداً: مثل حساني يضرب لمن يستهون الصعب إذ لم يمارسه، فيقال: إن ظنته بارداً فاجعل يدك فيه.
- (7) ناصر: رجل استنجدوه في إحدى معاركهم فأنجدهم، وحين حميت المعركة فروا عنه وبقي وحده في ميدان القتال يقارع الأعداء وحده.
- (8) البسيقي: بثر جرت به معركة بينهم وبين كنت وكان النصر لحليف بني الحاج. وقد حفرت كنت حول الحى خندقاً في ذلك اليوم حتى تحمى به مواطنيها ولكن دون جدوى. وحدث ما حدث.

قد عمقوا حفرهم ليسلموا فغدوا
وما نجوا يوم لكبيب إذ هربوا
لقد تركناهم صرعى تخالهم
فتلك دورهم بالظلم خاوية
كم عادة منهم تشوي الجراد لدى
وكم بفوتة من ثكلى وأرملة
غذاؤها حمر الغابات تحنّذها
إنا بني الحاج أبطال ذوو كرم
مهما نسالك تعل النجم مبتهجا
أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا
ومن يُساو بنا أعداءنا كرما
من ظن أنا سواءً جاهل فلقد
ومن يُساو بنا أعداءنا فلقد
فسل بنا وبهم إن كنت جاهلنا
فهم يعادون أهل الحق عن سفيه
ونحن نزجر للعاصي ونهجره

كالكبش عن حتفه بظلفه حفرا
عشية والسماء أرسلت مطرا(1)
نخلا تراه بمجرى السيل منقعا(2)
فأصبحوا لا ترى بها لهم أثرا(3)
كنار تسري إلى أوكاره سحرا(4)
وأيم ويتامى عاللة فقرا(5)
جوعاً وفي الكج تستسقى لها المطرا(6)
نحن الهداة الكماة السادة الأمرا
وإن نعادك يوما تُلف منحدرنا
لم تجد الأمن منا لم تزل حذرا(7)
فهل تساوي بخيل سبق بقرا(8)
ساوى بنخل القرى اليتوع والعشرا(9)
ساوى بأسد الشرى الذئاب والنمرا(10)
والحال أصدق ما استنبأته الخبرا
ونحن ننصر من للحق قد نصرا
وهم يُجلون من بالفسق قد جهرا

- (1) لكبيب : مكان حدثت فيه موقعة بين كنت وخصمها.
- (2) منقعا : ساقطا مجنّداً.
- (3) البيت دليل على سحقهم بالكامل.
- (4) كنّار : قبيلة من قبائل الفلان المنتشرة من موريتانيا إلى تشاد، ويبلغ عددهم حوالى 17 مليون نسمة، وترجع أصولهم إلى جيش عقبة بن نافع الفهري.
- (5) فوتة : هى فوتة جالون، وهى سلسلة من الجبال بمنطقة السنغال.
- (6) تحنّذها : تشويها. والكج : موضع بالسودان الغربي.
- (8) الفراء بكسر الفاء: الحمار.
- (9) هنا يفتخر بالقبيلة، وجاء بمقارنات وقال: (كيف يساوى الأسد بالذئب) فكأنه يقول شتان ما بين الثرى والثرى.
- (10) الشرى : موضع تكثر به الأسود.

يرضون جهل أبي جهل ونخوته
وبغض آل النبي المصطفى ورثوا
وبغض أنصار خير الخلق شيمتهم
قوم إذا اتتمنوا خانوا وإن حكموا
أو واعدوا أخلفوا أو حدثوا كذبوا
مثل اليهود بقتل الأنبياء هلكوا
ألا فلا أمة بالذنب قد هلكت
ثمود قد هلكوا عن بغي عاقرهم
نهابهم صالح فخالفوه كما
وقوم لوط أتوا ما قد أتوا سفها
ويقطعون السبيل أينما سلكوا
وأهل مدين للمكيال قد نقصوا
وينقضون عهد الله قاطبة
هذا وفيهم رجال مؤمنون كما

ويبغضون علياً من علا مضرا
من الوليد ومن يزيد من فجرا
وسم النفاق على أخلاقهم ظهرا
جاروا وإن خاصموا ألفتهم فجرا⁽¹⁾
ومن تقلد عهداً منهم غدرا⁽²⁾
لأنهم قد رضوا بزلّة الكبرا⁽³⁾
إلا ويأتون ما أئتته مشتهرا
وهم عتوا وعثوا وكلّهم عقرا
نهى ثمود وكانوا معشرا فجرا
وهم يساوون ذات البعل والذكرا
جهرأ ويأتون في ناديتهم نكرا
وكنتم قد نقصوا أرزاق كل وري
وينقضون من الإسلام كل عزي
في آل فرعون من إيمانه سترا



(1,2,3) معنى مختصر للأبيات الثلاثة، كان الشاعر يقول : إنهم مثل اليهود الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة بسبب قتلهم الأنبياء، لأنهم قد رضوا بما فعل آباؤهم من تلك الأفعال الخسيسة من غدر وخيانة.. واليهود مجبولون على مثل هذه الأفعال الدنيئة.